

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) (٣٧)

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا افْتَضَى»

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

إِنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ تَعِيشُ فِي زَمَنٍ يَغْلِبُ فِيهِ الْجَسَدُ عَلَى الرُّوحِ، وَالظَّاهِرُ عَلَى الْبَاطِنِ، وَالْمَادِيُّ عَلَى الْمَعْنَوِيِّ. نَحْنُ فِي زَمَنٍ يُقَدَّمُ وَيُفْضَلُ فِيهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَلْبِي احتِجَاجَاتِنَا. لَقَدْ عَبَّرَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ عَنْ هَذَا الْوَضْعِ بِقَوْلٍ وَجِيزٍ قَائِلًا: "إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ لِيَكُونَ مَحْبُوبًا، وَالْأَشْيَاءُ خُلِقَتْ لِلِاسْتِعْمَالِ وَالِاسْتِخْدَامِ وَقِضَاءِ الْحَاجَاتِ. وَسَبَبُ الْفَوْضَى فِي الدُّنْيَا هُوَ حُبُّ الْأَشْيَاءِ وَاسْتِعْمَالُ النَّاسِ". كَوْنُ الظواهرِ جُعِلَتْ وَاعْتَبِرَتْ حَقِيقَةً وَقِيمًا مَقْبُولَةً سَبَّبَ إِلَى نَتِيجَةِ انْعِدَامِ الْأُمُورِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَأَصْبَحَتْ غَيْرَ مُعْتَبَرَةٍ. كُلُّ سِلْعَةٍ يُمَكِّنُ بَيْعَهَا وَشِرَائِهَا وَالْمَنَاجِرَةَ بِهَا اِكْتَسَبَتْ قِيمَةً، وَكُلُّ مَا لَا يُمَكِّنُ بَيْعَهُ وَشِرَاؤَهُ كَالْفَضْلِ وَالشُّعُورِ وَالْفَنَاعَةِ وَالْعِلْمِ وَالْوَعْيِ أَصْبَحَ لَا قِيمَةَ لَهُ. عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَصِفُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: (رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ)

اشْتِعَالَ الْمُسْلِمِ بِالتَّجَارَةِ بِطَرُقٍ حَلَالٍ جَائِزٍ بِالتَّكْوِيدِ، لَكِن يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ لَا يُهْمَلَ الْآخِرَةَ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَجَنَّبَ مِنَ الْمَيْلِ إِلَى الدُّنْيَا بَيْنَمَا يَبْحَثُ عَنِ الرَّزْقِ وَيَسْعَى إِلَى تَرَوَاتِ الدُّنْيَا.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

دِينُنَا الْإِسْلَامُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَتَحَلَّى بِأَخْلَاقِ التَّجَارَةِ كَمَا يَأْمُرُنَا فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ. يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)

يَحِبُّ عَلَيْنَا فِي التَّجَارَةِ أَنْ نَحْتَرِمَ حُقُوقَ الْآخَرِينَ، وَأَلَّا نَتَجَاوَزَ حُدُودَهُمْ. دَعَوْنَا لَا نَحَسِرَ الْآخِرَةَ مِنْ أَجْلِ الْأَرْبَاحِ، وَلَا نَنْسَ بَأْتِنَا إِذَا تَصَرَّفْنَا بِشَكْلِ غَيْرِ أَخْلَاقِي فِي الْأَعْمَالِ التَّجَارِيَّةِ، وَإِذَا وَقُمْنَا بِبَيْعِ بَضَائِعٍ مَرْيِفَةٍ سَنُكُونُ قَدْ جَعَلْنَا أَوْلَادَنَا يَأْكُلُونَ مَالًا حَرَامًا. وَبِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ نُرَاعِيَ الطَّرْفَ الْآخَرَ فِي تِجَارَتِنَا. قَالَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي أُرْسِلَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا افْتَضَى» وَدَعَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكُلِّ مَنْ يَجِدُ هَذِهِ الْأَوْصَافَ، وَوَضَحَ لَنَا مَا يَحِبُّ فِعْلُهُ فِي الْأَعْمَالِ التَّجَارِيَّةِ الَّتِي سَنُفُورُ بِهَا، خُصُوصًا فِي مُجْتَمَعِنَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ قُدُوةٌ بِأَعْمَالِنَا. وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فَهْمُنَا لِلتَّجَارَةِ مَبْنِيًّا عَلَى مَبْدَأِ الصِّدْقِ، وَيَحِبُّ أَنْ لَا نَنْسَ أَبَدًا أَنَّنَا نُمَثِّلُ الْإِسْلَامَ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَفَاضِلُ،

لَقَدْ نَبَّهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَائِمًا عَلَى التَّجَارَةِ الصَّحِيحَةِ وَالْمَوْثُوقَةِ. لِأَنَّ الْإِنْسَانَ بِسَبَبِ ضَعْفِهِ وَخُسْرَانِهِ دَائِمًا يَقْلُقُ عَلَى رِبْحِهِ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَبِهِ يَنْتَهِكُ حُقُوقَ الْآخَرِينَ. وَهَذَا خَطَأٌ كَبِيرٌ يُوَاجِهُهُ بَنِي آدَمَ. وَأَكْبَرُ ضَعْفِ إِنْسَانِي يُسَبِّبُ ذَلِكَ هُوَ طُمُوحٌ وَشَهْوَةٌ الْمُمْتَلِكَاتِ الَّتِي يَصْنَعُ لِلْإِنْسَانَ التَّحَكُّمَ عَلَيْهَا. وَرَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلْفِتُ الْإِنْتِبَاهَ إِلَى هَذَا الْجَانِبِ مِنَ الْإِنْسَانِ قَائِلًا: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لِابْتِغَى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَثُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ» الَّذِينَ هُمْ عِبِيدٌ لِمَشَاعِرِهِمْ وَعَوَاطِفِهِمْ، لِلْأَسْفِ يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَعْلُوا النَّاسَ، وَيَتَصَرَّفُوا بِأَنَانِيَّةٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣))

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا رِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

